كيف تصبح ناجحًا ؟

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 4 فبراير 2018

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

أعتقد أنه ربما لو عملنا مسحا ميدانيا لأكثر المصطلحات انتشارًا في علم التنمية البشرية لوجدنا أنه «النجاح»، ولكن على الرغم من ذلك فإننا نجد أن الناجحين هم فئة قليلة في أي مجتمع، وربما هنا يحق لنا أن نتساءل، لماذا ؟

ونحن أطفال، ونحن في المدرسة، ونحن في الجامعة، ونحن في دروب الحياة المختلفة كنا نحلم بالطرق الوردية للنجاح، وأننا وبكل بساطة سوف نصل إلى مستوى النجاح العام في المجتمع الذي نعيش فيه على الأقل، كلنا حلم وتنفس وعايش حلمه، ومازال الكثير منا يحلم، ولكن كم من الحالمين بلغ النجاح الذي وضعه نصب عينيه ؟ كم منا بلغ ذلك النجاح الذي حلم به في أوج شبابه ؟ لا أعرف، ولكن كل الذي أعرفه أن العديد منا تساقط وخرج عن طريق النجاح.

فالنجاح ليس فكرة وشعورا فحسب، وإن كان هذا مطلوبا إلى درجة كبيرة، وخاصة في بداية مشوارنا في طريق النجاح، ولكن بالإضافة إلى ذلك وبعد بضع خطوات فإنه لكي نحقق النجاح فإننا نحتاج إلى جهد وعمل دؤوب، وصبر وأمور كثيرة، فإن فقدنا كل ذلك ونحن

نسير في طريق النجاح فإنه حتمًا يصعب علينا بلوغ النجاح، وإن نجحنا فإنه يصعب علينا أن نستمر وأن نتمتع بهذا النجاح لفترة طويلة من العمر، فهل فكرنا في ذلك ؟

ولقد أشارت الكثير من الأدبيات إلى العديد من الأساليب والسُبل التي من الممكن اتباعها لكي يبلغ المرء النجاح، وتفنن الكثيرون في هذا العلم وحاول الكثير من الباحثين وضع وصفات مهمة للبقاء في قمة جبل النجاح، ولكن مما يجدر ذكره أنه لا توجد وصفات سحرية أو سريعة لبلوغ النجاح، ولا توجد عصا سحرية يمكنها أن تبلغنا النجاح ونحن لا نحرك ساكنا، ونعيش في حالة من الترهل الفكري والجسدي، فحتى يبلغ المرء النجاح فإنه يحتاج أن يحمل معه أو أن يمارس العديد من الطقوس ربما المرهقة والمتعبة والممتعة في آن واحد، ومن هذه الطقوس:

وضع الأهداف والخطط: نؤمن بالحكمة التي تقول من لا يعمل بمنهجية فإنه حتمًا يعمل بهمجية، فمن ليست له أهداف ولا خطة للحياة فمن المستحيل أن يبلغ الهدف، فمن ليس له هدف فكأنه شخص يسير في سفينة أو سيارة ولا يعرف إلى أين يسير، فهل من المعقول أن يصل هذا الإنسان إلى النجاح ؟ وأي نجـاح يريد ؟

الهدف بكل بساطة هو ماذا تريد أن تحقق بعد خمس سنوات، أو عشر سنوات، أو حتى عشرين سنة ؟ هل تستطيع أن تتخيل نفسك

بعد كل هذا العمر ؟ أتريد أن تبلغ الشهرة، أم هل تريد أن تصبح غنيا، أم ماذا تريد ؟ وعلى هذا الأساس تضع خطة لتحقيق بلوغ الهدف، هكذا بكل بساطة.

مارس وأصنع العادات الجيدة: وأنت تسير في طريق النجاح عليك أن تنمي لديك بعض العادات الحسنة التي تساعدك على النهوض وشحذ الهمة، فليس من المعقول – مثلاً – وأنت تريد النجاح أن تنام إلى وقت الظهر وتقوم بكل تكاسل وتتحرك وكأنك تحمل على كاهليك عشرات الأطنان ثقلاً، وإنما يجب أن تقوم من الصباح الباكر وأن تنام مبكرًا وأن تمارس أفضل العادات الحسنة حتى تقبل نفسك أولاً وبالتالي يتقبلك الناس، وبعدها يمكنك السير في طريق النجاح، فصنع العادات الجيدة هو أن تجبر نفسك على فعل ما عليك فعله وإن كنت لا تستسيغه، وفي الحقيقة فإن العادات الجيدة والحسنة صعبة في تشكيلها ولكنها سهلة لتعيش معها، وأما العادات السيئة فإنها سهلة في تشكيلها ولكن صعبة التعايش معها لفترات طويلة.

التحدث عن الأفكار: من أراد النجاح فلا يضيع وقته في الترهات من الأحاديث، فليس من المعقول للشخص الذي يرغب في النجاح أن يضيع نهاره في التنقل بين مقاهي الشيشة ومواقع التواصل الاجتماعي والثرثرة الإلكترونية، وإنما عليه أن يفكر ويناقش أصحاب العقول والأفكار، يستفيد منهم ويستفيدون منه، يفكر في المشاريع، يقوم بتحليل الأفكار والأحداث، يتردد على المجالس

الثقافية والفكرية، وهذا لا يعني أبدًا ألا يرتاح من كل هذا بين الفينة والأخرى بالاستراحة والتنزه والخروج مع الأهل والأصدقاء، ولكن يجب أن يوازن حياته وطرق معيشته، فلا إفراط ولا تفريط.

تحمل كامل المسؤولية: في السير نحو النجاح يواجه المرء العديد من الأخطاء والعوائق، سواء في صورة أفكار أو مشاريع أو حتى بشر، وهذا واقع يعيشه كل شخص يسير في هذا الطريق، ومع ظهور العوائق فإن الفاشل يأخذها كشماعة يعلق عليها أخطاءه وتقصيره، ويقف هناك من غير حراك، ولكن الناجح يتحمل هو مسؤولية الأخطاء ويقول نعم فشلت في هذه المرحلة بسبب كذا وكذا.. ويتهم نفسه أولاً بالتقصير، ومن ثم يعاود التحرك من جديد، فهو يعلم أن السقوط ليس نهاية المطاف، ولكن نسقط لنتعلم، وإذا تعلمنا من هذه السقطة فإننا سنقوم ونقف بقوة أكبر، فقد قيل إن السقطة التي لا تميتنا فإنها تقوينا.

المداومة على التعلم والقراءة: ونحن أمة اقرأ، فهل نتجـــاهل القراءة ؟ للأسف، الكثير منا لا يقرؤون، حتى وهم في مراكز متقدمة من النجاح، فالكثير من الأطباء – مثلاً – توقفت معلوماته عند لحظة تخرجه من الجامعة، والكثير من المعلمين اعتمد اعتمادا تاما على المنهج اليومي الذي يقوم بتدريسه، وهكذا الحال لمعظم المتخصصين.

القراءة قضية أساسية ومهمة في طريق النجاح، فمن لا يقرأ يتبلد مخه وتتجمد معلوماته، ويصبح بعد فترة من الزمن، هو والفاشل سواء، فلا يغرنك أنك اليوم تلبس البالطو الأبيض أو أنك مهندس معماري ذائع الصيت، فقد يأتي اليوم الذي تجد نفسك في آخر الركب.

المداومة على العطاء: العطاء أمر رائع الجمال، وخاصة إن كان العطاء يقدم للفرد المحتاج، والعطاء هنا نعني به كل أنواع العطاء، فيمكن للشخص الراغب في النجاح أن يقدم العطاء الخالي من الرياء وحب الظهور لجمعيات النفع العام، يمكن أن يساعد بصورة جديدة في تعليم الأطفال حب العمل أو يمكنه أن يساعد بصورة إيجابية في إبراز أجمل شيء لدى الأطفال، المهم أن يداوم على العطاء من غير أن ينتظر مقابلا، فقد رأينا أشخاصا ما إن تقول لهم اكتب مقالا من أجل النشرة الفلانية الصادرة من الجمعية الخيرية الفلانية فإنه يبادرك بقوله «بكم؟»، وهذا لا ينفع في حقل العطاء.

الناجح يريد من الآخرين أن يصبحوا مثله: عندما يبلغ الناجح المكان الذي ينشده، ويشعر أنه قد قام بتحقيق بعض أهدافه، فإنه يحاول أن يساعد الآخرين لتحقيق أهدافهم، وخاصة من الذين يعيشون معه أو بالقرب منه، كالموظفين والأصدقاء.

فالناجح لا يمكن أن يكون أنانيا أبدًا، فالأنانية ليست من شيمته، وذلك لأنه لا يعاني من مشاكل مع نفسه، وبالتالي فإنه لا يعاني

من مشاكل مع الآخرين، وهذا يعني أنه يحب أن يرى المحيطين به كلهم من فئة الناجحين، وليس ذلك فحسب وإنما يحاول أن يساعدهم ويدعمهم، وحتى أنه لا يتردد أبدًا في حث المحيطين به حتى الفاشلين منهم للسير قدمًا في طريق النجاح.

الناجح يخبر الآخرين بخبراته وتجاربه الناجحة ومعلوماته المفيدة: فهو لا يحب أن يخفي المعلومة حتى وإن كانت نوعًا ما سرية بالنسبة إليه، ويمكن أن تضر به إن أفشى بها، ولكنه يقولها حتى وإن كانت بطريقته الخاصة، إلا أنه يعتبر أن إخفاء المعلومة قضية لا أخلاقية، وخاصة اليوم حيث إن المعلومات يمكن الوصول إليها بضغطة زر هاتفك النقال، لذلك تراه وبكل إيجابية يخبر الآخرين عما أشكل عليهم ويرشدهم ويصحح معلوماتهم ويشاركهم تجاربه وحياته المهنية، كل ذلك بهدف عدم الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها.

مدح إنجازات الآخرين: لأن الناجح ليس أنانيا فإنه إن وجد أن أحد الأفراد قد نجح في إنجاز ما وقام بتحقيق أهدافه فإنه بكل إيجابية يقوم بمدح هذا الإنجاز حتى وإن كان بسيطًا، فليس المهم حجم ما تحقق وإنما المهم أنه يوجد شيء قد تحقق، وهذا هو مقياسه الأساسي، وهذا الأمر يشعره بالرضا النفسي والسعادة التي لا تتحقق إلا بسعادة الآخرين.

ينشرون السعادة: أينما يحل الناجح فإن السعادة تحل معه، فهو بإيجابيته وحبه للآخرين فإنه يُسعدهم، سواء بحديثه وخفة ظله أو بحسن المعشر أو بإتقانه فن التعامل مع الآخرين، ولأنه لا يحقد ولا يكره أحدا فإن جميع المحيطين به يحبونه لأنه يحبهم، لذلك فإنه دائمًا سعيد وينشر السعادة في المجتمع الذي يعيش فيه، سواء كان هذا المجتمع صغيرا أم كبيرا.

يتقبل التغيير بكل سرور: لا يوجد في الحياة أمر ثابت، فبما أن الحياة تسير قدمًا فإنها تتغير، ومع تغيير التكنولوجيا تتغير الحياة، ومع كبر السن تتغير الحياة، ومع تغير المفاهيم تتغير الحياة، وأمور كثيرة تغير الحياة سواء الحياة الأسرية أو المهنية أو الفكرية أو الثقافية أو أي نوع من الحياة، هذا يُسعد الناجح لأنه ذو مرونة كافية حتى يتغير مع تقلبات الحياة، فعقله مرن وفكره مرن وسعة تفكيره مرنة، وبالتالي يستطيع أن يستوعب كل جديد وكل المتغيرات، فلا يقف عائق أمام أي متغير وإنما يحاول أن يفهمه ويستوعبه وبالتالي يتجاوب معه.

يسامح الآخرين: النفس الطيبة تستطيع أن تسامح الآخرين، حتى وإن حدث خطأ من قِبل الآخرين، فقلبه الكبير يستطيع أن يستوعب كل المحيطين به، وكل من يحاول أن يحبطه وكل الذين يحاولون أن يضعوا أمامه العوائق، فهو يشعر بالثقة في النفس، وقوة شديدة تمكنه من الانطلاق قدمًا في حال رغبة الآخرين في تحطيمه.

لذلك فإن الناجح لا يتحطم ولا يستطيع أحد أن يهز الكرسي الذي يجلس عليه، لأنه بكل بساطة مبدع وقادر على الوقوف مرة أخرى وثالثة ورابعة وهكذا وفي كل مرة يزداد قوة، ويسير لتحقيق أهدافه بحسب الخطة التي وضعها لنفسه حتى وإن نبحت الكلاب في طريقه.

الصبر: هو الفضيلة التي يجب أن ترافقه طوال الطريق، فهو أمام تحديات وعوائق وجهد كبير، فالطريق ليس سهلاً ولا مفروشًا بالورود، وإنما كلما تقدم خطوة تزايد المتخاذلون من حوله، ووقف المرجفون أمامه ووضعوا العراقيل، وكل الذي عليه أن يقوم به أن يتجاوز كل ذلك بصدر رحب ونفسية إيجابية ويتقدم الصفوف، عندها حتمًا سيبلغ قمة النجاح.

النجاح – أيها الراغبون في النجاح – شغف وحب وشعور وتفكير دائم، بالإضافة إلى جهد كبير وعمل دؤوب، ولا يمكن أن ننجح هكذا من غير السعي للنجاح، نعم إن الشعور وأحلام اليقظة لذيذة ولكنها حتمًا لا توصلنا إلى النجاح، فإن رغبنا في النجاح، فكل الذي علينا هو أن نسعى للنجاح، فالنجاح لا يسعى إلى الكسالى مهما كانوا.